﴿.. مسجداً ضراراً...﴾

حسن محمّد

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

هناك في تأريخنا الإسلامي، العبادي والسياسي والاجتماعي، ظهر مسجدان، كلاهما يستمدّان وجودهما ممّا للمسجد من دور كبير في تحقيق الأهداف، وممّا يشكّله هذا الدور الخطير الموكل له من وسيلة إعلامية بكلّ ما تحمله هذه الوسيلة من وظيفة متميزة في هداية الأمّة، أو في إضلالها، وإبعادها عن الطريق المستقيم، فالمسجد سيف ذو حدّين إن صحّ التعبير، يمكننا من خلاله توعية المجتمع ودعوته إلى الله تعالى والالتزام بأحكامه وتطبيق مفاهيمه ومبادئه،

---

(١) التوبة: ١٠٧ـ١١١.

ويمكننا من خلاله إبعادها عن هذه الدعوة، وبالتالي صرف مسيرتها، إلى حيث الضلال، وفي هذه المرّة تكون خطورة المسجد أعظم وأكثر بلاءً؛ لأنّ الانحراف هذا يتمّ تحت سقفه، ويكون ـ بما يحمله من أهداف عليا ومبادىء سامية ـ غطاءً لأعمالهم وعلى رأسها الكيد للجماعة المسلمة؛ لهذا راح المنافقون يتسترون بهذه الوسيلة وبغيرها، فأسس جمع منهم، ممّن عاصر رسول الله ﷺ وتظاهر بالإيمان والتقوى والحرص على المؤمنين، وكاد تظاهرهم هذا ومؤامرتهم هذه تنطلي على مؤمني المدينة، لولا تدخل السماء، التي راحت تكشف زيفهم وتميط اللثام عن خطّتهم الخبيثة وما حاكته أيديهم للنيل من الصف المسلم يومذاك.

القراءة

ذكر المفسّرون اختلافاً في القراءة:

* فقد قرأ كلّ من نافع وابن عامر بل وأهل المدينة ﴿**الذين اتخذوا**﴾ بغير واو، فيما قرأها الباقون بالواو، فالأول: على أنّه بدل من قوله: ﴿**وآخرون مرجون**﴾ والثاني: على تقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً.

فالمسجد سيف ذو حدّين إن صحّ التعبير، يمكننا من خلاله توعية المجتمع ودعوته إلى الله تعالى والالتزام بأحكامه وتطبيق مفاهيمه ومبادئه، ويمكننا من خلاله إبعادها عن هذه الدعوة، وبالتالي صرف مسيرتها، إلى حيث الضلال

* وقرأ نافع وابن عامر أُسّس بضم الألف، وبنيانُه بالرفع في الموضعين المذكورين: أُسِّس بنيانهُ على تقوى... أُسِّس بنيانهُ على شفا...

فيما قرأ الباقون أَسّس بنيانَه فيهما، وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أُسُسُ بُنيانِه على وزن فُعُل، وقراءة نصر بن علي أساس بُنيانه.

* وقرأ ابن عامر وحمزة وحماد ويحيى عن أبي بكر وخلف جُرف بالتخفيف،

فيما قرأه الباقون جُرُف بالتثقيل.

* وقرأ يعقوب وسهل «إلى أنْ» على أنّه حرف الجر، وهو قراءة الحسن وقتادة والجحدري وجماعة، ورواه البرقي عن أبي عبدالله، فيما قرأ الباقون «إلّا أنْ» مشدّدة اللام.

* وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وجعفر وسهل وروس عن يعقوب تَقَطَّع بفتح التاء والتشديد، فيما قرأ روح تُقطع بضم التاء مخففاً، وقرأ الباقون تُقَطّع بضم التاء مشدداً[1].

معانٍ

إرصاداً: إعداداً وارتقاباً وانتظاراً، تقول: أرصدت كذا إذا أعددته مرتقباً له به، قال أبو زيد: يقال رصدته وأرصدته في الخيرة وأرصدت له في الشر، وقال ابن الأعرابي: لا يقال إلّا أرصدت ومعناه ارتقبت.

شفا: طرف وحرف.

جرف: بضم الراء وسكونها جانب البئر التي لم تطو، وقيل: الهوة وما يجرفه السيل من الأودية. أو هو المكان الذي يأكله الماء فيجرفه أي يذهب به.

هار: متداع وساقط ومنهال.

(١) أنظر القراءات، ومجمع البيان، والتفسير الكبير للرازي، وأحكام القرآن للقرطبي.

البلاغة

وفي الآيات استعارة، ففي قوله تعالى: ﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله**﴾ أي أسس على قاعدة راسخة قويّة ثابتة وطيبة ألا وهي التقوى تقوى الله تعالى، فشبّه التقوى والرضوان بقاعدة يعتمد عليها البناء تشبيهاً مضمراً في النفس، وأسس بنيانه تخييل على قاعدة الاستعارة التصريحية.

وهناك استعارة أخرى وهي الاستعارة التمثيلية في انهيار البناء القائم على شفا جرف هار، فقد شبهت الآية عدم القيام بأمور الدين بمن بنى بنيانه على شفا فهو يسقط به، فالمشبّه به البناء على محل آيل للسقوط، والمشبه هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق.

قصة مسجد الضرار

ذكر المفسّرون في سبب نزول هذه الآيات الأربع أنّ بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قُبَاء، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلّى فيه، فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غُنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجداً فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد، وكانوا اثني عشر رجلاً، وقيل: خمسة عشر رجلاً، منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ، وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلّي فيه لنا وتدعو بالبركة.

فقال ﷺ: إني على جناح سفر، ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله، فصلينا لكم فيه.

فلما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك، نزلت عليه الآية في شأن المسجد[1].

فيما ذكر الواحدي في أسبابه ما قاله المفسّرون: إنّ بني عمرو بن عوف، اتخذوا

(١) مجمع البيان للشيخ الطبرسي، الآيات.

مسجد قُباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلّى فيه، فحسدهم إخوتهم بنو غُنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجداً، ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه كما صلّى في مسجد إخواننا، وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصّر ولبس المسُوح، وأنكر دين الحنيفية لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه، وسمّاه النبي ﷺ: أبا عامر الفاسق، وخرج إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين: أن [أعدو] استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر، فآتي بجند الروم، فأُخرج محمداً وأصحابه.

فقالوا: إنا [قد] بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلّي لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فنزل عليه القرآن، وأخبره الله عزّ وجلّ خبر مسجد الضرار وما هموا به

فبنوا له مسجداً إلى جنب مسجد قُباء، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب، ومُعتب بن قُشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعبّاد بن حنيف، وجارية بن عامر، وابناه مجمع وزيد، ونبتل بن حارث [وبخرج] وبجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت.

فلما فرغوا منه، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا [قد] بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلّي لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فنزل عليه القرآن، وأخبره الله عزّ وجلّ خبر مسجد الضرار وما هموا به.

فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخشم وأخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عُديّ، أو أخاه عاصماً، وعامر بن السكن، ووحشياً قاتل حمزة، وهذا أمر مستبعد لأنه ﷺ أمره بأن لايراه حتى بعد أن أسلم، فقال له رسول الله ﷺ وبعد أن سمع حديثه عن كيفية قتله لحمزة رضوان الله عليه: ويحك! غيّب عني وجهك، فلا أُرينّك.

قال وحشي: فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان، لئلا يراني، حتى قبضه الله[1].

وعلىٰ أيّة حال، فقد قال لهم رسول الله ﷺ: انطلقوا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه وأحرقوه، فخرجوا، وانطلق مالك، وأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثمّ دخلوا المسجد وفيه أهله، فحرقوه وهدموه، وتفرّق عنه أهله، وأمر النبيّ ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقىٰ فيها الجيف والنتن والقمامة، ومات أبوعامر بالشك وحيداً غريباً.

وفي خبر مختصر ينقله الواحدي أيضاً عن جماعة: أنّ المنافقين عرضوا المسجد يبنونه ليضاهئوا به مسجد قُباء، وهو قريب منه لأبي عامر الراهب، يرصدونه إذا قدم ليكون إمامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً فصلِ فيه حتى نتخذه مصلى، فأخذ ثوبه ليقوم معهم، فنزلت هذه الآية: ﴿**لا تقم فيه أبداً**﴾[2].

وأبوعامر الراهب كان قد خرج إلىٰ قيصر وتنصّر، ووعدهم قيصر أنّه سيأتيهم، فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيئه فيه.

ويذكر سعيد بن المسيّب: أنّ ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾[3].

نزلت في أبي عامر هذا ـ وهو واحد من عدّة أقوال ـ وهو أبو عامر بن صيفي، وكان يلبس المسوح في الجاهلية، فكفر بالنبي ﷺ، وذلك أنّه دخل على النبي ﷺ المدينة، فقال: يا محمد، ما هذا الذي جئتَ به؟

قال: جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم.

قال: فإنّي عليها.

---

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٧٦.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، والقرطبي في تفسيره وغيرهما.

(٣) الأعراف: ١٧٥.

فقال النبي ﷺ: لستَ عليها لأنك أدخلت فيها ماليس منها.
فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً.
فقال النبي ﷺ: نعم أمات الله الكاذب منا كذلك.
وإنما قال هذا يُعرّض برسول الله ﷺ حيث خرج من مكة.

فقد قال لهم رسول الله ﷺ: انطلقوا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه وأحرقوه

فخرج أبو عامر إلى الشام ومرّ إلى قيصر وكتب إلى المنافقين: استعدوا فإني آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمداً من المدينة، فمات بالشام وحيداً، وفيه نزل: ﴿**وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل**﴾[1].

إذن، ومن خلال الاستعانة بأسباب النزول المختصّة بهذه الآيات الأربع، نرى أنّ مسجد ضرار حركة نفاقية خطيرة وسيئة كادت أن تؤدي بوحدة الصف المسلم، خطط لها أعداء الإسلام والتوحيد، وراحت أيدٍ تتظاهر بالإسلام داخل المجتمع المسلم تنفذها تحت أغطية ذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية... يحاولون بهذا إخفاء نواياهم الحقيقية وهي التي بينتها الآيات المذكورة: ضراراً وكفراً وتفريقاً... وهي مقاطع سيأتي شرحها.

المفاسد الأربع

وراحت هذه الآيات القرآنية تصف هذا المسجد الذي أسسته أياد منافقة تريد الكيد بالإسلام والمسلمين، تصفه بصفات أو مفاسد أربع، وبالتالي تصف القائمين به وعليه أيضاً بهذه الصفات، وهي كونه:

١ ـ ضراراً.
٢ ـ كفراً.

(١) أنظر القرطبي في تفسيره للآية ١٧٥ من سورة الأعراف.

٣ ـ تفريقاً بين المؤمنين.
٤ ـ إرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل.

فالصفة الأولى: هي أنه كان ضراراً، والضرار لغةً، ضرّه، وضرّ به، يضرّه ضرّاً وضرراً: ألحق به مكروهاً أو أذىً، وضارّه مُضارةً وضراراً: ضرّه وضامه وضايقهُ، وضاره أي خالفه، وتضارّا: ضارَّ أحدهما الآخر، وتضارّاً: لحقهما ضرر وضيم[1].

وقال الرازي والطبرسي أيضاً: إنّ الضرار محاولة الضرّ، كما أنّ الشقاق محاولة ما يشق، يقال: ضاره مضارة وضرار.

وقال الزجاج: وانتصب قوله (ضراراً) لأنّه مفعول له.

والمعنى: اتخذوه للضرار، ولسائر الأمور المذكورة بعده، فلما حذفت اللام اقتضاه الفعل فنصب.

ثم قال: وجائز أن يكون مصدراً محمولاً على المعنى والتقدير: اتخذوا مسجداً ضرراً به ضراراً.

إذن، فلا يُراد به إلّا الإضرار بالمسلمين وبوحدتهم كما لا يُراد به إلّا الكفر بالله تعالى وترك عبادته وتوحيده، ولا يُراد به أيضاً إلّا أن يكون مركزاً للفتنة والتآمر على الساحة الإسلامية والكيد لها بالتعاون مع أعداء هذه الدعوة المباركة التي حملها نبيّ الرحمة محمد ﷺ، متستّرين بعناوين متعدّدة منها: مساعدة ضعفائنا، ومرضانا، خاصة في الليالي الباردة، التي لا يستطيعون فيها الذهاب إلى مسجد قُباء، كما أرادوا أن يصلّي فيه الرسول ﷺ لكي يضفي على بنائهم هذا وعملهم الشرعية، ولكن سعيهم هذا خاب بعد أن تدخلت السماء فكشفت مؤآمرتهم.

هذا، وقال أهل التأويل: ضراراً بالمسجد، وليس للمسجد ضرار، إنّما هو

(١) مصادر اللغة.

لأهله، وروى الدارقُطني عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: لا ضرر ولا ضرار مَن ضارّ ضارّ الله به، ومن شاقّ شاقّ الله عليه.

قال بعض العلماء: الضرر: الذي لك به منفعة وعلى جارك فيه مضرة.

والضرار: الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة، وقد قيل: هما بمعنى واحد، تكلّم بهما جميعاً على جهة التأكيد. وراح القرطبي يذكر بعض الأحكام التي منها أنّه لا يجوز أن يبنى مسجد إلى جنب مسجد ويجب هدمه، والمنع من بنائه لئلا ينصرف أهله عن المسجد الأول فيبقى شاغراً، إلّا أن تكون المحلة كبيرة فلا يكفي أهلها مسجدٌ واحد فيبنى حينئذ...[1].

الصفة الثانية: ﴿وكفراً﴾

اختلفت أقوالهم في معنى ﴿وكفراً﴾، فبعض ذهب إلى أنّ المقصود إقامة الكفر فيه، أو أنّ اتخاذهم هذا المكان واختيارهم هذا العمل بإنشاء هذا المسجد كان كفراً بالله، أو أنّ المراد هو أنّهم يكفرون فيه بالطعن على رسول الله ﷺ والإسلام، فعن ابن عباس أنّه قال: يريد به ضراراً للمؤمنين، وكفراً بالنبيّ ﷺ وبما جاء به.

فيما ذهب غيرهم إلى أنّ المراد بـ﴿وكفراً﴾ هو أنهم لما كان إعتقادهم أنّه

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨:٢٥٥ـ٢٥٦.

لا حرمة لمسجد قُباء ولا لمسجد النبيّ ﷺ كفروا بهذا الاعتقاد، هذا ما قاله ابن العربي[1]. ولا مانع من أن يكون المراد منها كلّ ما تعنيه كلمة الكفر من معان.

الصفة الثالثة: ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾

وهو هدف خطير تحمله حركة النفاق ويقصده المنافقون في كلّ تصرفاتهم ضد الدعوة الجديدة، فبني هدفهم، إذا ما تمّ إنشاء هذا المسجد، مستغلّين قدسية المسجد وانشداد المؤمنين له، بما يحمله من مكانة في قلوبهم، وبما تضفي عليه صلاة رسول الله ﷺ فيه لو تمّت، بني هدفهم على تفريق الأمّة المسلمة تمهيداً لتضعيفها فالاستحواذ عليها.

يقول الرازي: أي يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين، وذلك لأنّ المنافقين قالوا: نبني مسجداً فنصلي فيه، ولا نصلي خلف محمد، فإن أتانا فيه صلينا معه، وفرّقنا بينه وبين الذين يصلون في مسجده، فيؤدي ذلك إلى اختلاف الكلمة وبطلان الألفة.

وهذا يدلك ـ كما يذكر القرطبي ـ على أنّ المقصد الأكبر والغرضَ الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وعقد الذمام والحرمة يفصل

(١) أنظر تفسير الرازي ومجمع البيان للطبرسي وجامع الأحكام للقرطبي.

الديانة حتى يقع الأنس بالمخالطة، وتصفو القلوب من وضر الأحقاد[1].

إذن، فالمنافقون يحاولون النيل من الجماعة المسلمة من داخلها وبالوسائل نفسها التي تمتلكها هذه الجماعة، والتي منها المسجد وماله من دور خطير ومهم في حياتها الإيمانية.

الصفة الرابعة: ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله﴾

إن المفسّرين اتفقوا على أنّ المراد بهذا المقطع من الآيات هو رجل من قبيلة الخزرج، يُقال له أبو عامر الراهب، والد حنظلة الذي غسلته الملائكة، كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ فيه بعد أن استشهد في معركة أحد حيث قال ﷺ: إنّ صاحبكم، يعني حنظلة لتُغسّله الملائكة، فسألوا أهله ما شأنه؟

فسئلت صاحبته عنه، فقالت: خرج وهو جُنب حين سمع الهاتفة أي الصيحة، وقد قتله شدّاد بن الأسود وهو ابن شعوب بعد أن رآه قد علا أبا سفيان، فضربه شداد فقتله[2]، فشتان شتان بين هذا العبد الصالح، وأبيه الراهب، الذي تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، ولبس المسوح، وكان له شرف في قبيلته الخزرج كبير، فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزّب عليه الأحزاب، فسمّاه النبي ﷺ الفاسق، وظهرت نواياه الخبيثة هذه ضد رسول الله ﷺ خصوصاً بعد أن صارت للإسلام كلمة عالية، وأظهر الله المسلمين في معركة بدر، فشرِق هذا اللعين بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها ثمّ خرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله عزّ وجلّ، وكانت العاقبة للمتقين، وكان لعامر هذا دور قذر فقد حفر حفائر بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب في ذلك اليوم، فجرح وجهه، وكسرت رباعيته

(١) أنظر الرازي في تفسيره والطبري في مجمعه والقرطبي في جامعه في تفسير الآيات المذكورة: سورة التوبة.
(٢) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٧٩ـ٨٠.

اليمنى السفلى، وشج رأسه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثمّ راح أبو عامر، وقد تقدّم في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، يخاطبهم ويستميلهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه، قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله! ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر!

وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرّد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً، فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبيّ ﷺ فوعده ومنّاه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه، ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، فيحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنّهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية! فعصمه الله من الصلاة فيه، فقال ﷺ: «**أنا على سفر، ولكن إذا رجعنا، إن شاء الله**».

فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك، ولم يبقَ بينه وبينها إلّا يوم أو بعض يوم، بذي أوان، وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، نزل جبريل بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم ـ مسجد قباء ـ الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هَدَمَه قبل مقدمه المدينة.

أما أبو عامر فكان مصيره أن مات قبل أن يبلغ ملك الروم الذي خرج إليه بعد أن انهزمت هوازن في معركة حنين حيث ظلّ أبو عامر يُقاتل رسول الله ﷺ إلى

أن حلّت الهزيمة بهم في هذه الواقعة، فمات وحيداً غريباً بقرين دون أن تتحقق أمانيه الخبيثة ضد رسول الله ﷺ وأمانة السماء التي حملها بشيراً ونذيراً، ورحمةً للعالمين[1].

ثمّ إن الله تعالى بعد أن وصف هذا المسجد الذي اتخذه المنافقون بهذه الصفات أو المفاسد قال سبحانه وتعالى:

﴿وليحلفن إن أردنا إلّا الحسنى﴾

وهو ردّ طبيعي متوقع منهم، أن يحلفوا بأنهم لم يريدوا من عملهم هذا إلّا الفعلة الحسنى، وهو الرفق بالمسلمين في التوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز، وهو ما تعللوا به حينما جاءوا إلى رسول الله ﷺ ليطلبوا منه الصلاة في مسجدهم بأنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الممطرة، والليلة الشاتية، وهو غطاء تستّر به المنافقون في خططهم، لكنّ الرد السماوي لم يتأخر فقد جاء بقوة **﴿والله يشهد إنّهم لكاذبون﴾** فيما ادعوه، والله يعلم حيث ضمائرهم وكذبهم فيما يحلفون عليه. وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزياً في الدنيا والآخرة.

﴿لا تقم فيه أبداً﴾

وهو نهي لرسول الله أن يقوم به للصلاة، وقد يعبّر عن الصلاة بالقيام، قد قامت الصلاة، ويقال: فلان يقوم الليل أي يصلّي، ومنه الحديث: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقد روي عن الحسن أنّه قال: همّ رسول الله ﷺ أن يذهب إلى ذلك المسجد، فنادى جبريل عليه السلام لا تقم فيه أبداً.

بعد أن طلبوا منه أن يصلي فيه ويدعو لهم بالبركة، إلّا أنّه ﷺ وبعد أن كشفت له السماء نواياهم وفضحت سرائرهم وما يحيكونه من وراء هذا البناء، وبعد نهي السماء أن يلبي لهم طلبهم، فيتخذوا قيامه في مسجدهم غطاء وإمضاء

(١) أنظر ابن كثير في تفسيره للآية، وتأريخ المدينة لابن شبّة ١:٥٣ـ٥٤ ومعالم التنزيل للبغوي ٤:٢٣٩، وغيرها.

شرعياً لعملهم.

قال ﷺ لجماعة عيّنهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه وخربوه، ففعلوا ذلك، ولم يكتف رسول الله ﷺ بتهديمه وتخريبه، بل أمر أن يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة، ولم يدم عُمر هذا المسجد إلّا ثلاثة أيام، وانتهى في اليوم الرابع، يقول ابن جريج: فرغوا من إتمام ذلك المسجد يوم الجمعة، فصلّوا فيه ذلك اليوم ويوم السبت والأحد، وانهار في يوم الاثنين.

﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾

اللام في قوله تعالى: ﴿**لمسجد**﴾ هي لام القسم، وقيل لام الابتداء كما تقول: لزَيد أحسن الناس فعلاً، وهي مقتضية تأكيداً، والتقوى أي الخصال التي تتقى بها العقوبة، أي والله لمسجد أسس على التقوى، أي بني أصله وجذره ورفعت قواعده على تقوى الله تعالى وطاعته منذ أول يوم.

وإنّما تمّ هذا التفريق بين المسجدين؛ مسجد أسس على الشر والكيد والنوايا السيئة، ومسجد أسس على تقوى الله وطاعته، ليميزَ اللهُ الخبيث من الطيب. وقد اختلف في هذا المسجد (مسجد التقوى)، فذهب بعض المفسّرين إلى أنّه:

مسجد قُباء، يروى عن ابن عباس وعروة بن الزبير والضحاك والحسن، وتعلقوا بقوله: ﴿**من أول يوم**﴾، ومسجد قباء كان أسس بالمدينة أول يوم، فإنّه بني قبل مسجد النبي ﷺ، قاله ابن عمر وابن المسيب، ومالك فيما رواه عنه ابن وهب وأشهب وابن القاسم.

ولقوله تعالى: «فيه» وضمير الظرف تقتضي الرجال المتطهرين، فهو مسجد قباء.

وأنّ الآية نزلت في أهل قباء: ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهّروا والله يحب المطهرين**﴾ فقد كانوا يستنجدون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية، وقال الشعبي: هم أهل قباء. أنزل الله فيهم هذا، وقال قتادة: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ

لأهل قباء: إنّ الله سبحانه قد أحسن عليكم الثناء في التطهر فما تصنعون؟ قالوا: إنّا نغسل أثر الغائط والبول بالماء، وهذا ما رواه أبو داود، فيما روى الدارقطني عن طلحة بن نافع أنّه قال: حدثني أبو أيوب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك الأنصاريون عن رسول الله ﷺ في هذه الآية ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**﴾ فقال: يا معشر الأنصار إنّ الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور، فما طهوركم هذا؟ قالوا: يا رسول الله، نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ: فهل مع ذلك من غيره؟

فقالوا: لا غير، إنّ أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحبّ أن يستنجي بالماء، قال: هو ذاك فعليكموه.

وقيل ـ كما هو المروي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في مجمع البيان ـ يحبون أن يتطهروا بالماء عن الغائط والبول، إضافة إلى ذكره كما روي عن النبي ﷺ أنه قال لأهل قباء: ماذا تفعلون في طهركم فإنّ الله قد أحسن عليكم الثناء؟ قالوا: نغسل أثر الغائط، فقال: أنزل الله فيكم ﴿**والله يحب المطهرين**﴾ أي المتطهرين.

فيما ذهب فريق آخر منهم إلى أنّه مسجد النبي ﷺ مستندين إلى ما رواه أبوسعيد الخدري كما في الترمذي، قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء؛ وقال آخر: هو مسجد النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هو مسجدي هذا.

فمن عدّ هذا الحديث صحيحاً الذي نصّ فيه النبي ﷺ على أنّه مسجده، قال: فلا نظر معه، وقد روي أنه مسجد رسول الله ﷺ عن زيد بن ثابت وابن عمرو الخدري، ورد عن الرسول ﷺ.

فيما ذهب فريق ثالث الى أنّ المسجد الذي أسس على التقوى هو كل من مسجد المدينة ومسجد قباء، فقد روى أبو كُريب قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا صالح بن حيان، قال: حدثنا عبدالله بن بريدة في قوله عزّ وجلّ:

﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه**﴾

قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبنهنّ إلّا نبيّ: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قُباء اللذان أسسا على التقوى، بناهما رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال القاضي: لا يمنع دخولها جميعاً تحت هذا الذكر؛ لأنّ قوله ﴿**لمسجد أسس على التقوى**﴾ هو كقول القائل لرجل صالح أحق أن تجالسه، فلا يكون ذلك مقصوراً على أحد.

وقيل: هو كلّ مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن أبي مسلم.

﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.

ثم راحت السماء تميّز بين ذلك البنيان الذي أسس على الكيد وبين بنيان كان أساسه التقوى ورضا الله سبحانه وتعالى، وراحت تجري مقارنةً بين المسجدين عبر تساؤل كبير وخطير يحمل تحذيراً وتنبيهاً، وبالتالي تهذيباً وتربية للنفوس في أن تميّز بين ما يعرض لها من أمور، فتتبع منها ما يتفق مع الخير وتترك كل شيء يتناغم والشر، إنّها التربية القرآنية المتواصلة للمؤمنين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويذكر صاحب تفسير في ظلال القرآن، وهو يقف عند هذه الآية ليحلق بها بتعبير فني رائع حيث يقول: فلنقف بتطلع لحظة إلى بناء التقوى الراسي الراسخ المطمئن... ثمّ لنتطلع بعد إلى الجانب الآخر! لنشهد الحركة السريعة العنيفة في بناء الضرار... إنّه قائم على شفا جرف هار... قائم على حافة جرف منهار... قائم على تربة مخلخلة مستعدة للانهيار... إننا نبصره اللحظة يتأرجح ويتزحلق وينزلق!... إنّه ينهار! إنه ينزلق! إنه يهوي! إنّ الهوه تلتهمه! يا للهول! إنها نار جهنم ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ الكافرين المشركين.

الذين بنوا هذه البنية؛ ليكيدوا بها هذا الدين!

ثم يواصل كلامه: إنّه مشهد عجيب، حافل بالحركة المثيرة ترسمه وتحركه بضع كلمات!... ذلك ليطمئن دعاة الحق على مصير دعوتهم، في مواجهة دعوات

الكيد والكفر والنفاق وليطمئن البناة على أساس من التقوى كلما واجهوا البناة على الكيد والضرار![1].

حقّاً إنّه لمشهد رائع هذا الذي يصوره كتاب الله تعالى وهو يحكي هذين البناءين ودوافعهما وما آلت إليه أسس بناء الشر من نهاية تعيسة، فيما راح بناء الخير تعلو كلمته، ويرتفع رصيده عند الله تعالى وعند المؤمنين، ففرق كبير بين من أسس بنيانه متقياً وبين من أسس بنيانه غير متق، فالأول مثابٌ على عمله فيما يكون الآخر معاقباً عليه رغم ما بذله من جهد ومال... فانهار به في نار جهنم لأنه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، هذا وأنّ من أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحقّ الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ـ كما يقول الرازي ـ أمن أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار من أودية جهنم؟ فلكونه ﴿شفا جرف هار﴾ كان مشرفاً على السقوط، ولكونه على طرق جهنم، كان إذا انهار فإنّما ينهار في قعر جهنم.

(١) في ظلال القرآن لسيّد قطب في تفسير الآية.

ثم يقول الرازي: ولا نرى في العالم مثالاً أحسن مطابقةً لأمر المنافقين من هذا المثال!

وحاصل الكلام أنّ أحد البناءين قصد بانيه ببنائه تقوى الله ورضوانه، والبناء الثاني قصد بانيه ببنائه المعصية والكفر، فكان البناء الأول شريفاً واجب الإبقاء، وكان الثاني خسيساً واجب الهدم[1].

هذا ولا بد لنا من الإشارة الى أنّ العلماء اختلفوا في ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ هل هذا حقيقة أو مجاز على قولين:

الأول: أنّه حقيقة، فقد أرسل إليه رسول الله ﷺ من يهدمه، وفعلاً هدم وخرب ورؤي الدخان يخرج منه، كما في رواية سعيد بن جُبير، وقال بعضهم: كان الرجل يُدخل فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة، فيما ذكر أهل التفسير أنّه كان يُحفر ذلك الموضوع الذي انهار فيخرج منه دخان، وروى عاصم بن أبي النجود عن زرّ بن حبيش عن ابن مسعود أنّه قال: جهنم في الأرض، ثمّ تلا ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أما جابر بن عبدالله فيقول: أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ.

حاصل الكلام أنّ أحد البناءين قصد بانيه ببنائه تقوى الله ورضوانه، والبناء الثاني قصد بانيه ببنائه المعصية والكفر، فكان البناء الأول شريفاً واجب الإبقاء، وكان الثاني خسيساً واجب الهدم

الثاني: أنّه مجاز، ومعناه: صار البناء في نار جهنم، فكأنه انهار إليه وهوى فيه وهذا كقوله تعالى: ﴿فأمُّه هاوية﴾، يقول القرطبي: والظاهر الأول، إذ لا إحالة في ذلك والله أعلم[2].

(١) التفسير الكبير الرازي، تفسير الآية.

(٢) أنظر أحكام القرآن للقرطبي في تفسير الآية.

﴿لا يزال بنيانُهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا أن تـقطّع قـلوبهم والله عليم حكيم﴾.

تحمل هذه الآية مشهداً آخر راح التـعبير القـرآني يـرسمه في نـفوس بُـناته الأشرار، وبناة كل مساجد الضرار.

لقد انهار الجرف المنهار... انهار ببناء الضرار الذي أقيم عليه، انهار به في نار جهنم وبئس القرار! ولكن ركام البناء بقي في قلوب بناته. بقي فيها «ريـبة» وشكاً وقلقاً وحيرة. وسيبقى كذلك لا يدع تلك القلوب تطمئن أو تثبت أو تستقر. إلّا أن تتقطع وتسقط هي الأخرى من الصدور!

وإن صورة البناء المنهار ـ كما يقول صاحب تفسير في ظـلال القـرآن ـ هـي صورة الريبة والقلق وعدم الاستقرار... تلك صورة مادية وهذه صورة شعورية وهما تتقابلان في الواقع البشري المتكرر في كل زمان. فمـا يـزال صـاحب الكـيد الخادع مزعزع العقيدة، حائر الوجدان، لا يطمئن ولا يستقر، وهو من انكشاف ستره في قلق دائم، وريبة لا طمأنينة معها ولا استقرار.

ثم يقول سيد قطب: وهذا هو الإعجاز الذي يرسم الواقـع النـفسي بـريشة الجمال الفني، في مثل هذا التناسق؛ بمثل هـذا اليـسر في التـعبير والتـصوير عـلى السواء[1].

فيما ذكر القرطبي في أحكامه في قوله تعالى: ﴿لا يزال بنيانهم الذي بـنوا﴾: يعنى مسجد الضرار. ﴿ريبة﴾ أي شكاً في قلوبهم ونفاقاً؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك.

وقال النابغة:

حـلفتُ فـلم أتـرك لنـفسك ريـبةً ... وليس وراء الله للـمرء مَـذهَبُ

وقال الكلبي: حسرة وندامة؛ لأنهم ندموا على بنيانه.

(١) أنظر في ظلال القرآن، الآية.

وقال السُّدّي وحبيب والمبرّد: «ريبة» أي حزازة وغيظاً أو أن تتصدع قلوبهم كقوله: ﴿**لقطعنا منه الوتين**﴾ لأنّ الحياة تنقطع بانقطاع الوتين، قاله الضحاك وقتادة ومجاهد، وقال سفيان: إلّا أن يتوبوا، وعكرمة: إلّا أن تقطع قلوبهم في قبورهم، وكان أصحاب عبدالله بن مسعود يقرؤونها: ريبة في قلوبهم ولو تقطعت قلوبهم، وقرأ الحسن ويعقوب وأبو حاتم «إلى أن تقطع» كل الغاية، أي لا يزالون في شك منه إلى أن يموتوا فيستيقنوا ويتبينوا[1]، فالبناء الذي بنوه كان وظلّ شكاً في قلوب مؤسسيه ومخططيه فيما كان من إظهار إسلامهم وثباتاً على النفاق، وبقي حزازةً كما يقول بعض المفسّرين، وحسرة كما يقول بعض آخر، في قلوب أصحابه يترددون فيها.

هذا وأنّ الرازي يذهب إلى أنّ بناء ذلك البنيان صار سبباً لحصول الريبة في قلوبهم، فجعل نفس ذلك البنيان ريبة لكونه سبباً لريبة.

وفي كونه سبباً للريبة ذكر الرازي وجوهاً:

الأول: إنّ المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار، فلما أمر الرسول ﷺ بتخريبه، ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته.

الثاني: إنّ الرسول عليه الصلاة والسلام لما أمر بتخريب ذلك المسجد ظنوا أنّه إنما أمر بتخريبه لأجل الحسد، فارتفع أمانهم عنه وعظم خوفهم منه في كل الأوقات، وصاروا مرتابين في أنه هل يتركهم على ماهم فيه، أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم؟

الثالث: إنّهم اعتقدوا أنهم كانوا محسنين في بناء ذلك المسجد، فلما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتخريبه، بقوا شاكين مرتابين في أنّه لأي سبب أمر بتخريبه؟

الرابع: بقوا شاكين مرتابين في أنّ الله تعالى هل يغفر تلك المعصية؟ أعني

(١) أنظر أحكام القرآن للقرطبي في تفسير الآية.

سعيهم في بناء ذلك المسجد.

ثم يقول الرازي بعد ذكر هذه الوجوه الأربعة: والصحيح هو الوجه الأول.

أما بخصوص المقطع الثاني من الآية المذكورة وهو ﴿**إلّا أن تقطّع قلوبهم**﴾ فيقول الرازي ـ بعد أن يذكر الاختلاف في قراءته ـ أن تقطع بفتح التاء والطاء مشدّدة بمعنى تنقطع، فحذفت إحدى التاءين، والباقون بضم التاء وتشديد الطاء على مالم يسم فاعله، وعن ابن كثير (تقطع) بفتح الطاء وتسكين القاف (قلوبهم) بالنصب أي تفعل أنت بقلوبهم هذا القطع، وقوله (تقطع قلوبهم) أي تجعل قلوبهم قطعاً، وتفرق أجزاءها إما بالسيف وإما بالحزن والبكاء، فحينئذ تزول تلك الريبة، والمقصود أنّ هذه الريبة باقية في قلوبهم أبداً ويموتون على هذا النفاق، وقيل: معناه إلّا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم، وقيل: حتى تنشق قلوبهم غماً وحسرة.

وقرأ الحسن (إلى أن)، وفي قراءة عبدالله (ولو قطعت قلوبهم)، وعن طلحة (ولو قطعت قلوبهم) على خطاب الرسول ﷺ أو كل خطاب.

إذن، فهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم، فإذا ماتوا ـ كما يقول الشيخ الطبرسي ـ عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا من الكفر، ويحتمل أنّ معناه إلّا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم، كما يذهب إليه الزجاج.

والريبة المذكورة في الآية ـ إذن ـ تحتمل الأقوال الثلاثة في معناها:

* أنّ هذا البنيان الذي بنوه لا يزال شكاً في قلوبهم.
* أن هذا البنيان الذي بنوه سيبقى حزازةً في قلوبهم.
* وقيل: إنه سيبقى حسرة في قلوبهم يترددون فيها.

وأما معنى (إلّا) ها هنا فهو (حتى)، لأنّ إلّا استثناء من الزمان المستقبل، والاستثناء منه منته إليه فاجتمعت إلّا مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى.

المقطع الأخير ﴿والله عليم حكيم﴾

عليم بنياتهم في تشييد هذا البناء، والدعوة إليه، وعليم بمخططاتهم الخبيثة، التي كان أهمها ما ذكرته وصرحت به الآيات السابقة ذاكرةً سيئات عملهم هذا: **﴿ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾**.

وحكيم فيما حكم به عليهم، وعلى بنيانهم هذا، وفي منعه رسول الله ﷺ من أن يلبي دعوتهم للصلاة فيه، وكشف حقيقة أمرهم له، ليكون على بيّنةٍ من مشروعهم التآمري هذا، فكان أمره بنقضه ليمنع الفساد أن يقع في الساحة المسلمة ويمنع كل ما يحمله من أذى وضرر وتفريق وتشتيت للجماعة المؤمنة، وبالتالي يبقى المشروع الإيماني الذي بني على أسس من التقوى محكماً ثابتاً بلا منازع، ويترك ما أُسس على فساد الطوية وخبث النية مهدّماً وعبرةً لكلّ من أراد بذر الفتنة.

وتبقى وراء ذلك كله حكمة المنهج القرآني في كشف هذا المسجد وأهله، وفي تصنيف المجتمع الى تلك المستويات التي أشارت إليها الآيات الأخرى التي سبقت آية مسجد الضرار[1].

وفي كشف الطريق للحركة الإسلامية، ورسم طبيعة المجال الذي تتحرك فيه من كلّ جوانبه ـ كما يقول صاحب الظلال والذي يواصل حديثه قائلاً ـ:

لقد كان القرآن الكريم يعمل في قيادة المجتمع المسلم، وفي توجيهه، وفي توعيته، وفي إعداده لمهمته الضخمة.. ولن يفهم هذا القرآن إلّا وهو يدرس في مجاله الحركي الهائل ولن يفهمه إلّا أناس يتحركون به مثل هذه الحركة الضخمة في مثل هذا المجال.

ونختم حديثنا عن هذه الآيات بكلام ما أجمله وأعظمه عن آثار هذا المسجد وماهو على شاكلته في واقع المسلم، وأنّ ظاهرة المسجدية الضارة التي يمثلها

(١) التوبة: ٩٧ـ١٠٦.

مسجد الضرار في ذلك الوقت قد تتكرر بل تكررت في عصور الإسلام المختلفة وبأشكال ووسائل متعددة.

فمسجد الضرار ـ كما يذكر سيد قطب في تفسيره ـ يُتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة، التي يتخذها أعداء هذا الدين، تتخذ في صورة نشاط ظاهره الإسلام، وباطنه لسحق الإسلام، أو تشويهه وتمويهه وتمييعه

فمسجد الضرار ـ كما يذكر سيد قطب في تفسيره ـ يُتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الخبيثة، التي يتخذها أعداء هذا الدين، تتخذ في صورة نشاط ظاهره الإسلام، وباطنه لسحق الإسلام، أو تشويهه وتمويهه وتمييعه، وتتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتترّس وراءها وهي ترمي هذا الدين! وتتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتخدّر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق، فتخدّرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب إلى أنّ الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق!... وتتخذ في صور شتى كثيرة...

ويواصل حديثه فيقول: ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشفها وإنزال اللافتات الخادعة عنها، وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه وراءها، ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار على عهد رسول الله ﷺ بذلك البيان القوي الصريح: ﴿**والذين اتخذوا مسجداً ضراراً... والله عليم حكيم**﴾[1].

(١) في ظلال القرآن، الآيات.